



نضرة الزرع

في شرح

حديث أم زرع

الشيخ الدكتور
سمير بن أحمد الصباغ

نصرة الزرع في شرح حديث أم زرع

كتبه الفقير إلى عفوره الشيخ الدكتور
سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبدولة لعموم المسلمين

١٤٤٨ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدى هدى نبينا
محمد ﷺ، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في
النار.



حُسْنُ الْعِشْرَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَعَايِشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ١٩].

وَمِنْ مَظَاهِرِ حُسْنِ الْعِشْرَةِ بَيْنَهُمَا انبِسَاطُ كُلِّ مِنْهُمَا بِالْحَدِيثِ،
وَإِصْغَاءُ الْآخِرِ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَائِدَةِ وَالتَّعَبُّدِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ بِالْإِخْبَارِ
عَنِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لِلْإِعْتِبَارِ وَالْإِعَاظِ، وَالتَّعَلُّمِ مِنْ
فَضَائِلِ السَّابِقِينَ وَاجْتِنَابِ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا جَرَى بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَزَوْجِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ إِذْ
جَلَسَتْ تَحْكِي لَهُ قِصَّةَ إِحْدَى عَشْرَةِ امْرَأَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، جَلَسْنَ
وَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ عَلَى أَنْ كَلَّا مِنْهُنَّ تَذَكُّرُ زَوْجِهَا بِمَا فِيهِ مِنْ
الْمَحَاسِنِ أَوْ الْقَبَائِحِ، وَذَكَرَتْ لَهُ الْحَدِيثَ بِكَمَالِهِ، وَهُوَ ﷺ يُنْصِتُ
إِلَيْهَا حَتَّى فَرَّغَتْ وَلَمْ يُقَاطِعْهَا، وَلَمْ يَسْتَعْجِلْهَا، وَلَمْ يَتَضَجَّرْ مِنْ
كَلَامِهَا، مَعَ كَثْرَةِ مَسْئُولِيَّاتِهِ وَمَشَاغِلِهِ؛ لِمَا لِلزَّوْجَةِ مِنْ حَقُوقٍ عَلَى
زَوْجِهَا، وَمِنْهَا حُسْنُ الْعِشْرَةِ بِالْمُؤَانَسَةِ وَالْمَدَاعِبَةِ وَالْمَمَازَحَةِ



ونحو ذلك، ثم عَقَّبَ عليها في آخِرِ الحديثِ، فقال لها: «أَنَا لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»، فقالت: «بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي زَرْعٍ».

وهذه القصةُ فيها من الفوائدِ والدروسِ ما يحتاجُ الزوجانِ بصفةٍ خاصةٍ والمسلمون بصفةٍ عامةٍ أن يتعلَّموه ويستفيدوا منه، كشكرانِ العَشِيرِ وعدمِ كفرانه، وحُسْنِ العهدِ، وصيانةِ الحُرمةِ، وحفظِ الجميلِ، وحُرمةِ الغيبةِ والبُهتانِ، وإكرامِ الزوجةِ، وحُسْنِ اختيارِها، وإكرامِ أهلِها، وحسنِ عِشْرَتِهِمْ، وحفظِ جميلِهِمْ، ومراعاةِ نُقْصَانِ عَقْلِ المرأةِ وعَوَجِها الفِطْرِيِّ، وأنَّ هذا لا ينقُصُ من قدرِها، وبيانِ جمالِ اللغةِ العربيةِ وبلاغَتِها وسَعَتِها، فهي اللغةُ التي اختارَها اللهُ تعالى للقرآنِ والسُّنةِ لوحيه الخاتمِ ونبيه الخاتمِ.

وهذا ما نُلْقِي عليه الضوءَ من خلالِ شرحِ هذا الحديثِ بمشيئةِ اللهِ تعالى، نسألُ اللهَ تعالى أن يُوفِّقَنَا للعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ والفوزِ برضوانِهِ والعتقِ من نيرانِهِ، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ!



المبحث الأول نص حديث أم زرع

حديث أم زرع رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، وسنسوق اللفظ الذي عند البخاري:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَلَّا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا:

قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٍ فَيَتَّقَلُ.

قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرُهُ أَذْكُرُ عَجْرَهُ وَبَجْرَهُ.

قَالَتِ الثَّلَاثَةُ: زَوْجِي الْعَشَقُّ، إِنْ أَنْطَقَ أَطْلَقَ، وَإِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ.

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلُ تَهَامَةٍ، لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ، وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ.

قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهَدَ.



قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ.

قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَّاءً - أَوْ عَيَّاءً - طَبَاقاً، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَّكَ أَوْ فَلَّكَ، أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ.

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنبٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْبٍ.

قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ.

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعَنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ، أَتَقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكٌ.

قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ، أَنَاسٌ مِنْ حُلِيِّ أُذُنِيٍّ، وَمَلَأٌ مِنْ شَحْمِ عَضْدِيٍّ، وَبَجَحْنِي فَبَجَحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُتَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ، وَأَرْقُدُ فَاتَّصَبَحُ، وَأَشْرَبُ فَاتَّقَنَحُ، أَمْ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ،



ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، مَضَّجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ، وَيُشْبِعُهُ
 ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ
 أُمِّهَا، وَمِلَّةٌ كَسَائِهَا، وَغَيْطُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي
 زَرْعٍ، لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، وَلَا تَنْقُتُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْنَنَا
 تَعْشِيشًا، قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً
 مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ،
 فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ سَرِيًّا، وَأَخَذَ
 خَطِيئًا، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، وَقَالَ:
 كُلِّي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكَ، قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا
 بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةٍ أَبِي زَرْعٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ
 لِكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»^(١).

^(١) أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).



المبحث الثاني المعنى الإجمالي للحديث وكلماته

تروي أم المؤمنين عائشة الطيبة المباركة هذه القصة لزوجها رسول الهدى محمد ﷺ، والنبي ﷺ لعظم أخلاقه وشمائله وحسن عشرته يجلس إليها مستمعاً لهذا الحديث بإنصات تام، ثم يعلق عليه بأجمل تعليق.

فقال: «جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقدْنَ أَلَّا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا»؛ أي: أَخَذْنَ المَوَائِقَ والعُهودَ بعضهنَّ على بعضٍ بأن يتكلمنَّ بالصدق، ولا يكذبنَّ، ولا يخفينَّ شيئاً.

قالت الأولى: «زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٍ غَثٌّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقَلُ». وفي لفظٍ: «فَيُتَقَى»: شَبَّهَتْ زوجها بلحمِ الجملِ الغثِّ الهزيلِ الذي تعافه النفس، وشَبَّهَتْ سوءَ خُلُقِهِ بالجبلِ الوعرِ الصعبِ، وهو معَ هذا السوءِ ليس سهلاً



المرتقى؛ بل هو على رأس جبلٍ صعبٍ المطلع، فهي تفقدُ الأملَ في صلاحِ زوجها؛ لعيوبه الظاهرةِ والباطنةِ وسوءِ عشرتهِ لها، فهو شديدُ البخلِ، سيئُ الخلقِ، ميؤوسٌ منه، مذمومٌ، ولا يستحقُّ أن يُتحَمَّلَ من أجله المشاقُّ للوصولِ إليه.

قالت الثانية: «زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرُهُ أَذْكُرُ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ»؛ أي: إنها لسوءِ عشرتهِ وكثرةِ عيوبه تخافُ أن تطيلَ في حديثها عنه وعن صفاته القبيحةِ، ولا تتركُ من خبره شيئاً، فهي تكتفي بالإشارةِ إلى عيوبه، فتقولُ: إِنْ أَذْكُرُهُ أَذْكُرُ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ؛ أي: عيوبه الظاهرةَ والباطنةَ، فهو كثيرُ المعايبِ، بعيدٌ عن مكارمِ الأخلاقِ مذمومٌ.

أصلُ العُجْر: انتفاخُ العروقِ في الرقبةِ، والبُجْر: انتفاخُ الشَّرةِ.

قَالَتِ الثَّالِثَةُ: «زَوْجِي الْعَشَنُّ، إِنْ أَنْطَقَ أَطْلَقَ وَإِنْ أَسَكْتُ أَعَلَّقَ»؛ أي: طويلٌ لا نفعَ فيه، ليس فيه إلا الطولُ، فَإِنْ تَكَلَّمْتُ



وذكرتُ عيوبه طَلَّقَنِي، وإن سكتُ عن عيوبه عَلَّقَنِي فترَكَنِي، لا عزباء ولا متزوجةً.

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: «زَوْجِي كَلِيلُ تِهَامَةٍ، لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ، وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا

سَامَةٌ»: وهذه مدَحَتْ زوجها بكريم الخصالِ وحسنِ العِشرة، فهي تصِفُه بِلَيْلٍ تِهَامَةٍ، وتِهَامَةٌ بلادٌ حَارَّةٌ في معظمِ السَّنَةِ، وليس فيها رياحٌ باردةٌ، فيطيبُ الليلُ لأهلها بالنسبةِ لِحَرِّ النهارِ، فقد وصفتُ زوجها باعتدالِ الحالِ، وسلامةِ الباطنِ، وحسنِ العِشرة، وهي تستلذُّ العيشَ معه كلذةِ أهلِ تِهَامَةٍ بِلَيْلِهِم المعتدلِ وهوائِهِم اللطيفِ، فلا هو يَسْتَثْقِلُ صُحْبَتَهَا، ولا هي تستَثْقِلُ صُحْبَتَهُ.

وتِهَامَةٌ: هو السهلُ الساحليُّ للبحرِ الأحمرِ من الجانبِ الأسيويِّ.

قَالَتِ الْخَامِسَةُ: «زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدٌ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدٌ، وَلَا يَسْأَلُ

عَمَّا عَهْدٌ»: هذه مدَحَتْ زوجها بسعةِ صدره، وشديدِ كرمه،



وتغافلِه عما ذهبَ من المالِ والمتاعِ لِسَعَةِ كرمِه، فقالت: زوجي إذا دخلَ فهدّ؛ أي: أكثرَ من النومِ والغفلةِ عما أنفقُ، فلا يسألُ ولا يُعلّقُ ولا يعاتبُ على كلِّ شيءٍ.

وإذا خرجَ أسدٌ: صار كالأسدِ في شجاعته وسيادته، له شأنٌ عظيمٌ عندَ الناسِ لِحَزْمِهِ وأدبه وأخلاقه وقوته.

قَالَتِ السَّادِسَةُ: «زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفٌّ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُؤَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ»: هذه تَذمُّ زوجها، وأنها تعاني منه؛ إذ لا يهتمُّ بها، ولا يُراعي شعورها، ولا يعرفُ إلا نفسه، فهو كثيرُ الطعامِ والشرابِ والنومِ، ولا يَهْمُهُ إلا نفسه، مُعْرِضٌ عن زوجته وعن حقوقها الشرعية وحسنِ عشرتها، لا يُسامِرُها، ولا يُشبعُ حاجتها الغريزية، ولا يُراعي مشاعرَ الزوجة. واللفُّ هنا هو الشَّراهةُ في الطعامِ، والاشتفافُ هو الشراهةُ في الشربِ، والتَّفُّ في نومِه بكاملِ الغطاءِ.



ولا يُدخِلُ الكَفَّ لِيَعْلَمَ البَثَّ: لا يدخُلُ في ثوبِها لِيَعْلَمَ حزنَها
وكأبَها، ولا يلا طِفْها ويداعِبُها.

قَالَتِ السَّابِغَةُ: «زَوْجِي غَيَايَاءُ - أَوْ عَيَايَاءُ - طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ
دَاءٌ، شَجَّكَ أَوْ فَلَّكَ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ»: وهذه ذمَّتْ زوجها،
ووصَفَتْه بأنه لا مَزِيَّةَ فيه، فهو غليظُ الطباعِ، فيه كلُّ عيوبِ الرِّجالِ،
فهو أحمقُ، ثَقِيلُ النفسِ، عاجزٌ عن عشرةِ النساءِ، وجمعَ جميعِ
الأدواءِ؛ أي: جميعِ عيوبِ الرجالِ، وهو مع ذلك يَضْرِبُها فيشجُّ
رأسَها، أو يكسرُ عظامَها، أو يجمعُ بين الشجِّ والكسرِ.
غَيَايَاءُ: جهولٌ أحمقٌ.

عَيَايَاءُ: غبيٌّ عاجزٌ عن مجامعةِ النساءِ.
طَبَاقَاءُ: غبيٌّ أحمقٌ، ولا يُحسِنُ الكلامَ إِنْ مازَحَتْهُ شقَّ رأسُها،
وإن اغضَبَتْهُ كسرَ عَظَمَها أو شقَّ جِلْدَها.



قَالَتِ الثَّامِنَةُ: «زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنبٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْنبٍ»:

هذه مدحت زوجها بطيب الريح، ولين الأخلاق، وحسن العشرة.
مسُّ الأرنب؛ أي: ناعمُ الجلدِ كنعومةِ وبرِّ الأرانب،
والمقصودُ: لَيِّنُ الجانبِ كريمُ الخلقِ.
والزَّرْنَبُ: طيبٌ وعِطْرٌ طيبُ الرائحةِ.

قَالَتِ التَّاسِعَةُ: «زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ
الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ»: وهذه مدحت زوجها، فهي تصفُ
بيته بالعلوِّ والسَّعةِ، فهو من بيوتِ الأشرافِ الأثرياءِ، وهو رجلٌ
كريمٌ شجاعٌ مضيافٌ، وبيته قريبٌ من الناسِ؛ لِيَسْهُلَ لِقَاؤُهُ
والانتفاعُ به، فهو من كرمه لا يحتجبُ عن أحدٍ.

طويلُ النجادِ: طويلُ القامةِ، عظيمُ الهيئةِ والهيبةِ.
النادي: هو مجلسُ القومِ، يرجعون إليه في الرأي والمشورةِ.



قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ، وَمَا مَالِكٌ، وَمَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ
إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعَنَ صَوْتَ
الْمِزْهَرِ، أَيقَنَ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ: هذه تمدح زوجها بشدة الكرم وحسن
العشرة؛ فعنده إبل كثيرة، أغلب وقتها باركة بفناء البيت، فإذا نزل
ضيوف أكرمهم من ألبانها ولحومها، بالحلب والذبح لإطعام
الطعام وإكرام الضيفان.

والمِزْهَرُ هو آلة اللهو المعروفة بـ (البندير) وهو: دُفٌّ له
صِيجَانٌ تُصدِرُ صوتاً معروفاً، يُضْرَبُ بها ترحيباً وفرحاً بالضياف.
قَالَتِ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ: «زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ، أَنَسَ مِنْ
حُلِيِّ أُذُنِي، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدِي، وَبَجَحَنِي فَبَجَحْتُ إِلَيَّ
نَفْسِي»: هذه تمدح زوجها بحسن عشرته لها، وحبها إياها وكرمه
لها، فزوجها أثقلها بأنواع الحلي من الذهب وغيره، وكثرت نعمه



عليها، حتى سَمِنَ جِسْمُهَا، فَعَظُمَتْ إِلَيْهَا نَفْسُهَا، وَعَلَا قَدْرُهَا،
وَأَسْمُهَا: عَاتِكَةُ بِنْتُ أَكْمِيلِ بْنِ سَاعِدَةَ الْيَمَنِ.

وتذكرُ من فضله بيان حالها قبل الزواج منه وبعده، فقالت:
«وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ،
وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ
فَأَتَقَنِّحُ»؛ أي: كانت من أهل بيت فقراء، أهل غنم قليلة - و«شَقٌّ»:
اسم مكان بين جبلين لِقَلَةٍ حالهم - فنقلها إلى الغنى والسعة، إلى
أهل خيل وإبل وطعام كثير شهِيٍّ، وجعل لها قَدْرًا عظيمًا في بيته،
فلا يَرُدُّ قولها، وتنام على راحتها حتى تستيقظ وحدها، ولا يوقظها
أحد؛ لوجود الخدم، وعنده الخير الكثير الذي يكفيها وأولادها،
وأهل بيتها، وكانت تشرب على مهل فترتوي من اللبن والماء
والعصائر ونحو ذلك.

الصَّهِيلُ: صوت الخيل، والأَطِيطُ: صوت الإبل.



دائس: يدوس الزرع؛ ليُخْرِجَ الحَبَّ من السُّنْبِلِ.

وَمُنَّقٌ: يُنْقِي الطعامَ، فيزيل ما يختلط من القشر ونحوه.

ثم شرعت في ذكرِ حماتها «أم زوجها» وابنة وابنته و جاريتها
فقالت: «أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، عَكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا
فَسَاحٌ»؛ أي: كبيرة البيت، واسعة المال، كثيرة المتاع والأساس،
رداح: أي كبيرة.

«ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟ مَضْبَعُهُ كَمَسَلٌ شَطْبَةٌ»: مكان
نومه يشبه الجريد المشطوب، فهو يشبه السيف في الخفة والرشاقة.
«وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ»: أنثى المعز؛ أي: خفيف الظل، وليس
حِمْلًا عليها، إذا نام القيلولة نام يسيرًا، ولا يحتاج شيئًا من طعامها،
ولو أكل أكل يسيرًا، فهو ولدٌ لطيفٌ خفيفٌ ظريفٌ.

«بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا،
وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا»؛ أي: هي بارّةٌ بوالديها، جميلةٌ كاملة



الجسد والشخصية، عليها أثر النعمة، ولهذا تكون محلَّ حَسَدٍ من
قريناتها لجمالها وحسبها.

«جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيًا، وَلَا
تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا»؛ أي: لا تُفْشِي سِرَّ الْبَيْتِ،
وتحافظُ على المالِ، أَمِينَةٌ لَا تَخُونُ، وَلَا تُفْسِدُ الطَّعَامَ، نَظِيفَةٌ لَا
تَرُكُ الْقِمَامَةَ مَفْرَقَةً فِي الْبَيْتِ.

ثم ذكرتُ أمَّ زَرْعٍ التَّغْيِيرَ الَّذِي حَصَلَ فِي حَيَاتِهَا، وَكَانَ سَبَبًا فِي
طَلَاقِهَا، قَالَتْ: «خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ»؛ أي: أَوْعِيَةُ
اللبَنِ تُحَرِّكُ لاسْتِخْرَاجِ الزَّبَدِ، «فَلَقِي امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا
كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ»؛ أي: كَأَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ
الَّتِي كَانَتْ تَمْخَضُ الْأَوْطَابَ، وَجَلَسَتْ تَسْتَرِيحُ وَهِيَ مُسْتَلْقِيَةٌ
عَلَى ظَهْرِهَا وَوَلَدَاهَا يَلْعَبَانِ بِجَوَارِهَا، فَرَأَاهَا كَذَلِكَ، فَأَعْجَبَتْهُ
لِحُسْنِهَا وَحَسَنِ أَوْلَادِهَا وَعِنَايَتِهَا بِهِمْ، «فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا»؛ أي:



طَلَّقَنِي وَتَزَوَّجَ مِنْهَا؛ لَأَنْهَا اشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَتَزَوَّجَهُ أَنْ يَطْلُقَ أُمَّ

زَرْع. «فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا»؛ أَي: شَرِيفًا ثَرِيًّا كَرِيمًا.

«وَأَخَذَ خَطِيًّا»؛ أَي: يَمْضِي فِي سَيْرِهِ بَجْدٍ وَبَلَا انْقِطَاعٍ؛ أَي: كَانَ

حَازِمًا جَادًّا، «وَأَخَذَ خَطِيًّا»؛ أَي: أَخَذَ رَمَحَهُ إِذَا خَرَجَ، وَرَكِبَ

فَرَسَهُ. «وَأَرَّاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا»؛ أَي: أَغْدَقَ عَلَيَّ النِّعَمَ الْكَثِيرَةَ.

«وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا»؛ أَي: مِنْ كُلِّ الْخَيْرَاتِ أَصْنَافًا

وَأَنْوَاعًا.

«وَقَالَ: كُلِّي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكَ»؛ أَي: وَسَّعَ عَلَيْهَا وَعَلَى

أَهْلِهَا، وَأَمَرَهَا بِصِلَتِهِمْ وَعَطَائِهِمْ.

«فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرْعٍ»:

مَدَحَتْ زَوْجَهَا الثَّانِي، وَوَصَفَتْهُ بِالسُّؤْدَدِ فِي ذَاتِهِ وَالثَّرْوَةِ وَالشَّجَاعَةِ

وَالْفَضْلِ وَالْجُودِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ عِنْدَهَا مَوْقِعَ أَبِي زَرْعٍ، وَكُلُّ مَا

أَكْرَمَهَا بِهِ لَا يَسَاوِي شَيْئًا فِي إِكْرَامِ أَبِي زَرْعٍ.



فذكرت أن زوجها أبا زرع رأى امرأةً ولوداً لها طفلان كالفهدين تحت خصرها، فطلق أم زرع؛ لأنها كانت عقيماً لا تلد، ولأن المرأة التي أعجبته اشترطت عليه طلاق أم زرع، فطلقها رغبة في الولد.

ولكنها لم تنس أبا زرع، وما زالت تذكر فضله وكرمه وفاءً له، وحبها له بغض إليها غيره من الأزواج.

قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ، وَإِنِّي لَا أَطْلُقُكَ»؛ أي: كانت سيرتي معك في الإكرام والحب كما كانت سيرة أبي زرع لأم زرع، وهذا من عظيم تواضعه وحسن أخلاقه ﷺ، وإلا فإنه لا يتشبه بغيره؛ بل غيره هو الذي يتشبه به ﷺ في صفاته وأخلاقه؛ فهو مجمع الكمال البشري ﷺ.

وعند النسائي في «السنن الكبرى»: قلت: يا رسول الله، بل أنت خير من أبي زرع!



المبحث الرابع

الدروس المستفادة من حديث أبي زرع وأم زرع

اشتمل حديثُ أم زرعٍ على فوائدٍ كثيرةٍ وحِكَمٍ كثيرةٍ، نذكرُ منها
بمشيئةِ الله ما يأتي:

- جمالُ اللغةِ العربيةِ، وسَعَتُها، واستيعابُها للزمانِ كُلِّه، وعظيمُ
بلاغَتِها، ولهذا كانت لغةَ القرآنِ.

- وجوبُ تعلُّمِ أصولِ اللغةِ العربيةِ؛ لأنَّها لغةُ القرآنِ والسُّنةِ،
وبدونها لا نستطيعُ فهمَ الكتابِ والسُّنةِ ولا معرفةَ أحكامِ الإسلامِ.

- أنَّ كلَّ أمةٍ ثقافاتُها مرهونةٌ بلُغَتِها، فلو تغيَّرتِ اللغةُ تغيَّرتِ
العاداتُ والتقاليدُ والأصولُ والفروعُ، ولهذا حرصَ الاستعمارُ
الصليبيُّ وغيره على تغييرِ لغةِ البلادِ التي احتلَّها وجعلِ اللغاتِ
الأجنبيةِ هي الأصلُ؛ لتغييرِ ثقافاتِ الشعوبِ إلى ثقافةِ الدولِ
المختلفةِ صاحبةِ اللغةِ، كما حصلَ من الاستعمارِ الفرنسيِّ لبلادِ



المغرب العربي، فقد صارت لغتها الأصلية الفرنسية، وكذلك الكثير من دول إفريقيا، صارت لغتها الأصلية الإنجليزية، وغير ذلك كما هو معلوم.

- غالبُ مجالسِ النساءِ لا تخلو من الحديثِ عن الرجالِ - خاصةً أزواجهنَّ - بالمدحِ أو بالذمِّ والقدحِ، ولهذا حذَّرَ النبي ﷺ النساءَ من كثرةِ اللعنِ، وكفرانِ العشيرِ^(١)، وإفشاءِ أسرارِ البيوتِ^(٢)، فهذا من أعظمِ أسبابِ دخولِ النارِ، ويبيِّنُ ﷺ أَنَّهُنَّ بسببِ ذلك أكثرُ أهلِ النارِ، فيجبُ على المرأةِ المسلمةِ أن تحذَرَ ذلك كله، وأن

(١) كما في حديث أخرجه البخاري (٣٠٤)، وفيه: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرِ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَكْثُرُنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

(٢) كما في حديث أخرجه مسلم (١٤٣٧)، وفيه: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا».



تتقي الله في زوجها، وتستسر سره؛ لأن المرأة التي تمدح زوجها على وجه الرضا لعلها تحسد أو تعان، فيصيبها المكروه، والتي تقدح وتذم تقع في الغيبة والبهتان وكفران العشير، فيصيبها المكروه والشماتة من غيرها.

ولعل المرأة تمدح زوجها إغاطةً لغيرها، أو تقدح في زوجها لصرف النظر عنه خوف الحسد.

- على الرجال الصبر والتغافل عما يبلغهم من حديث النساء عنهم، فالمرأة خلقت من ضلع أعوج^(١)، ومن صفاتها نقص العقل والدين؛ حتى تدوم المودة والعشرة، وتستقيم الأسرة، وللزوج أن يعاتب في بعض ويتغافل عن بعض، كما فعل رسول الهدى محمد ﷺ كما ورد في سورة التحريم، قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨)، وفيه: «أَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيْمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ».



بَعْضُ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَثْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ [التحریم: ٣].

- فيه مشروعية ذكر محاسن النساء المجهولات للرجال، بخلاف المعينات.

- مشروعية واستحباب إعلام الرجل بمحبته لامرأته.

- مشروعية السجع في الكلام إذا خرج عفواً بغير تكلف.

- وجوب أو استحباب التأسي بأهل الفضل.

- وجوب حسن عشرة الأهل والأزواج.

- جواز الإخبار عن الأمم الخالية وضرب الأمثال بهم اعتباراً.

- المشبهة بالشيء لا يلزم كونه مثله في كل شيء.



- جواز الانبساط بذكر طُرْفِ الأخبارِ النواذرِ تنشيطاً للنفسِ.

- الحبُّ يَسْتُرُ الإساءةَ، فمع كونِ أبي زرعٍ طَلَّقَ أمَّ زرعٍ وأساءَ إليها في ذلك لكنَّ لم يَمْنَعْهَا ذلك مِنْ وصفِهِ بالصفاتِ الجميلةِ لحبِّها له.

- ولا تَنَسُّوا الفضلَ بينكم، فرغمَ أنَّ أبا زرعٍ طَلَّقَ أمَّ زرعٍ؛ لكنَّها لم تَنَسَ فضلَه بحسنِ الأخلاقِ وحسنِ العشرةِ والكرمِ واحترامه لها ولأهلِها، فلم تَفْجُرْ في حقِّه، ولم تَبْهَتْ بما ليس فيه، ولم تَغْتَبِه، وهذا أدبٌ عظيمٌ أدَّبَ اللهُ به عباده المؤمنين، فقال: {وَلَا تَنَسُّوا أَلْفُضْلَ بَيْنَكُمْ}، وقال النبي ﷺ: «وإنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، وقال ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(٢).

^(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٠).

^(٢) أخرجه أحمد (٧٩٣٩)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤).



- حسنُ استماعِ النبي ﷺ لزوجته مع طولِ حديثها؛ لإسعادها وإدخالِ السرورِ عليها مع كثرةِ مشاغلهِ وعظيمِ مسؤولياته.

- حسنُ عشرةِ الرجلِ لأهلهِ بالتأنيسِ والمحادثةِ بالأُمورِ المباحةِ ما لم يُفَضْ ذلكِ إلى ما يَمْنَعُ، كالتأنيسِ بسماعِ الأفلامِ والمسلسلاتِ والمسرحياتِ والأغانيِ والموسيقى، والنظرِ إلى المحرماتِ ونحوِ ذلكِ ممَّا حَرَّمَ اللهُ.

- ذكرُ المجهولِ بالسوءِ والعيبِ على سبيلِ الحكايةِ وأخذِ العبرةِ ليس من الغيبةِ المُحرَّمةِ، وإنَّما الغيبةُ تكونُ في حقِّ إنسانٍ معيَّنٍ، يُذكرُ في غيبتهِ بما يكرهُ.

- مشروعيةُ المداعبةِ والمباطنةِ بين الزوجين في غيرِ تعدٍّ، كما قال النبي ﷺ لجابرٍ رضي الله عنه: «فَهَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ، وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟»^(١).

^(١) أخرجه البخاري (٥٣٦٧).



- إكرام الزوج لزوجته بحسن الإنفاق وعدم البخل، قال تعالى:

{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا
ءَاتَاهُ اللَّهُ} [الطلاق: ٧].

- إمساك الزوجة بمعروف وعدم تطليقها حيث كانت عفيفة

دينة صالحة؛ لقول النبي ﷺ: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأَمِّ زَرْعٍ، وَإِنِّي
لَا أَطْلُقُكَ».

- حسن اختيار الزوج لزوجته التي تخدم في البيت، فتصلح ولا
تفسد، وتزوج للخير، وتسكت عن الشر، فهذه هي بنت الأصول
الطيبة كأم زرع، فمع كون زوجها طلقها، إلا أنها لم تذكره ولا
أحدًا من أهل بيته بسوء، وأثنت على حمايتها أم أبي زرع، وعلى ولد
أبي زرع، وعلى بنت أبي زرع، وعلى جارية أبي زرع وخادمتها،
وهذا يدل على حسن أصل أم زرع.



ولهذا جاء أن أبا زرعٍ ندمَ على طلاقٍ أم زرعٍ، قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتح»: «وَقَدْ وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَبَا زَرْعٍ نَدِمَ عَلَى طَلَاقِهَا، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا»^(١).

- لأهمية هذا الحديث وفوائده اعتنى به العلماءُ في شرحه واستنباط الأحكام منه، كالحافظ ابن حجرٍ في «الفتح»، والخطابي في شرح البخاريِّ له في كتاب «درّة الضرع لحديث أم زرع»، والنووي في «شرح مسلم»، والقاضي عياض الذي أخذ أغلب الشُّراح الفوائد من كتابه: «بغية الرائد لما تضمنته حديث أبي زرع من الفوائد»، والزمخشري في «الفائق في غريب الحديث»، وأبي عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث»، وغيرهم كثير، كالسيوطي في: «غاية النفع في شرح حديث أم زرع».

^(١) فتح الباري لابن حجر (٢٧٧/٩)



وهو حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة برقم (٤٨٩٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨) في باب ذكر حديث أم زرع، والنسائي في «الكبرى» في كتاب «عشرة النساء»، باب شكر المرأة لزوجها برقم (٩١٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٧١٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٦٥) (٣٥٤/٥).

- وجوب شكران العشير، وحرمة كفرانه، فقد ورد في الحديث قول النبي ﷺ: «أَرَيْتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(١)، فمع أنه طلقها من أجل الزواج بأخرى ومع ذلك لم تذكره بسوء، ولم تقل: «ما رأيت منه خيرًا قطُّ»، وإنما أثنت عليه وعلى

(١) أخرجه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧).



أَهْلِهِ بِالْخَيْرِ كُلَّهُ، وَهَذِهِ هِيَ أَخْلَاقُ الْإِسْلَامِ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ
النَّسَائِيُّ مُبَوَّبًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «بَابُ شُكْرِ الْمَرْأَةِ لَزَوْجِهَا».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: الْمَرْفُوعُ فِي الصَّحِيحِينَ: «كُنْتُ لَكَ
كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ»، وَبَاقِيهِ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ، وَجَاءَ خَارِجَ الصَّحِيحِ
مَرْفُوعًا كُلَّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ عَبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ،
وَسَاقَهُ بَسِيْقٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ، وَلَفْظُهُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ» قَالَتْ عَائِشَةُ: «بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ
اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ أَبُو زَرْعٍ... فَسَاقَ الْحَدِيثَ كُلَّهُ»^(١).

وَجَاءَ مَرْفُوعًا أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ أَيْضًا، وَكَذَا أَخْرَجَهُ
النَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُرْوَةَ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرَى» (٩٠٩٢).

(٢) «الْفَتْحُ» (٩/٢٥٧).



قلتُ: والصحيحُ أنها حكايةُ عائشةَ للنبيِّ ﷺ.

- جوازُ إخبارِ الرجلِ أهلهَ وزوجهَ بحسنِ حالِهِ معهم وصحبتهِ لهم بالمعروفِ وإحسانِهِ إليهم، وليسَ ذلكَ على سبيلِ المَنِّ بالإحسانِ؛ ولكنْ تذكيراً لهم بذلك، وتطبيعاً لأنفسِهِم، واستجلاباً لمودتِهِم، ونهياً لهم عن كُفرانِ النعمِ وكفرانِ العشيرِ، قالَ تعالى: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّلَمِ اللَّهِ}؛ أي: بنعمِ اللهِ عليهم.

- النهيُ عن الفخرِ بحطامِ الدنيا، وإنَّما الفخرُ يكونُ بالإيمانِ والعملِ الصالحِ وصحبةِ الصالحينَ والزوجِ الصالحِ والتوفيقِ لصلاحِ الدينِ والدنيا، ففي بعضِ طرقِ الحديثِ: فخرتُ عائشةُ بمالِ أبيها، فقالَ لها النبيُّ ﷺ: «اسْكُتِي يَا عَائِشَةُ»، ثم آنسها بأنه



قَرَّرَ عِنْدَهَا فَخَرَّ آخِرًا هُوَ أَوْلَى بِهَا وَأَسْعَدُ لَهَا بِقَوْلِهِ: «فَإِنِّي كُنْتُ لَكَ
كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»^(١).

- جوازُ التحدُّثِ بِمُلَحِّحِ الْأَخْبَارِ، وَطُرْفِ الْحِكَايَاتِ؛ تَسْلِيَةً
لِلنَّفْسِ، وَجِلَاءً لِلْقَلْبِ، وَلِهَذَا ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي بَابِ مَا
جَاءَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي السَّمَرِ.

- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «أَجْمُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ، وَاطْلُبُوا لَهَا
طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ»^(٢).

وَقَالَ الزَّهْرِيُّ: «هَاتُوا مِنْ أَحَادِيثِكُمْ، هَاتُوا مِنْ أَشْعَارِكُمْ، فَإِنَّ
الْأُذُنَ مَجَاجَعَةٌ، وَالنَّفْسُ حَمَضَةٌ»^(٣).

^(١) النسائي في «الكبرى» (٩٠٩٣).

^(٢) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٤٣٣/١).

^(٣) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٤٣٣/١).



أي: أنها تشتهي الشيء بعد الشيء كما تفعل الإبل حين تأكل في المراعي العشب الرطب، فتحتاج إلى شيء من العشب اليابس.

وقال أبو الدرداء: «إني لأستجم نفسي ببعض الباطل كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يكلها»^(١)؛ أي: إني استجم نفسي ببعض اللهو المباح؛ ليكون ذلك عوناً لي على الحق، وهذه الملحّ والحكايات الطريفة تكون على سبيل الندرة والفائدة، فالإكثار من ذلك يسقط المروءة والهيبة والوقار.

- كناية الطلاق لا توقعه إلا مع مصاحبة النية؛ أي: أن ألفاظ الكناية في الطلاق لا توقعه طلاقاً إلا إذا نوى الزوج الطلاق.

ومثال ألفاظ الكناية لفظ: «الحقي بأهلك»، فقد ورد في حديث البخاري في قصة نبي الله إسماعيل حين قال لزوجته: «الحقي بأهلك»، فطلقها بهذا اللفظ حين قال له والده: «غير عتبة بابك»؛

^(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٩٥)، وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (١٥/١).



أَيُّ: طَلَّقَ امْرَأَتَكَ هَذِهِ، قَالَ: «ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ»^(١)، فَطَلَّقَهَا إِسْمَاعِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِهَذَا اللَّفْظِ، وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْجَوْنِيَّةِ فَقَالَتْ لَهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ! فَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ عُدْتُ بِعَظِيمٍ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ»^(٢)، فَكَانَ طَلَاقًا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْوَاجَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنْ يُفَارِقْنَ أَزْوَاجَهُنَّ، وَأَنْ تَذْهَبَ كُلُّ وَاحِدَةٍ لِبَيْتِ أَهْلِهَا، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ لَزَوْجَتِهِ: «الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ»^(٣)، وَلَمْ يُرَدْ طَلَاقًا.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ طَلَّقَ أَبُو زَرَعٍ أُمَّ زَرَعٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ»؛ أَي: فِي حَسَنِ الْعَشْرَةِ وَالْإِكْرَامِ

^(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٦٤).

^(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢٥٤).

^(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤١٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٦٩).



والمحبة، وليس في الطلاق، وقال ﷺ: «إِلَّا أَنْ أَبَا زَرْعٍ طَلَّقَ، وَأَنَا لَا أَطْلُقُ»^(١)، ومثل ألفاظ الكناية أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لَامْرَأَتِهِ: «تَحْرُمِي عَلَيَّ»، فهذا لفظٌ يحتمل ثلاث معانٍ: الطلاق والظهار والامتناع عن شيء أحلَّهُ اللهُ، فيُنْظَرُ إلى النية، إِنْ قَصَدَ طَلَاقًا تُحْسَبُ طَلَقَةً، وَإِنْ قَصَدَ ظَهَارًا فَعَلِيهِ كِفَارَةُ الظَّهَارِ، وَإِنْ قَصَدَ الْامْتِنَاعَ عَمَّا أَحَلَّ اللهُ فِيهِ كِفَارَةُ الْيَمِينِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

- يَحْرُمُ عَلَى الزَّوْجَةِ أَنْ تَصِفَ زَوْجَهَا بِمَا يَكْرَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْغَيْبَةِ الْمُحَرَّمَةِ، وَمِنْ إِفْشَاءِ أَسْرَارِ الْأَزْوَاجِ وَالْبُيُوتِ، إِلَّا فِي حَالَةِ الشَّكْوَى لِلْقَاضِي لِرَفْعِ الْمَظَالِمِ أَوْ اسْتِفْتَاءِ الْعَالَمِ لِمَعْرِفَةِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ هِنْدِ بِنْتِ عَتَبَةَ رضي الله عنها، حِينَ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَا يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ حَرَجٌ؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَبَيْنِكَ بِالْمَعْرُوفِ»^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٧٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧٣).



- جوازُ تخصيصِ الرجلِ لبعضِ نساءِه نوعاً من الإكرامِ بحضورِ ضرائرها بقولٍ أو بفعلٍ بشرطِ عدمِ الجورِ، وجوازُ تحدُّثِ الرجلِ مع زوجته في غيرِ نوبتها ويومها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي بَعْضُ نِسَائِهِ، فَقَالَ يَخْصُنِي بِذَلِكَ: «يَا عَائِشَةُ، أَنَا لِكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ»^(١).

- جوازُ واستحبابُ اجتماعِ الضرائرِ في بيتٍ إحداهنَّ يومَ نوبتها للزيارةِ والمؤانسةِ، ويجمعنَّ جميعاً مع زوجهنَّ، وهذا من حُسنِ العشرةِ ومن أسبابِ الألفةِ بينِ الضرائرِ.

- جوازُ مدحِ الرجلِ أو المرأةِ بالفضلِ الذي فيه في وجهه إذا كان ذلك لا يفسدُه، وهذا واضحٌ من قولِ عائشةَ للنبيِّ ﷺ: «بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي زَرَعٍ»، وقولِ النبيِّ ﷺ لعائشةَ: «أَنَا لِكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ»؛ لأنَّ أمَّ زَرَعٍ امرأةٌ عاقلةٌ وفيَّةٌ شاكِرةٌ، فوصفَ عائشةَ بذلك في وجهها.

^(١) فتح الباري لابن حجر (٢٥٨/٩).



- تعليمُ النساءِ ذَكَرَ الأزواجِ بالفضلِ والإحسانِ، ووجوبِ
الوفاءِ لأزواجهنَّ، وقصرِ الطَّرْفِ عليهم، والشكرَ لجميلهم، وهذا
ما فعلته أم زرع، ووصفَ النبي ﷺ عائشةَ بأنها كأم زرع في الشُّكرِ
والوفاءِ وذكرِ الفضلِ والإحسانِ والجميلِ والحبِّ الصافي لرسولِ
الله ﷺ.

- فضلُ عائشةَ وشدةُ محبةِ النبي ﷺ لها وما كانت تتمتعُ به من
حسنِ الحديثِ، وقوةِ الحفظِ، ولطيفِ المجالسةِ، وحفظِ نوادرِ
الأخبارِ، والاطِّلاعِ على ما يدورُ من أخبارٍ وأسرارٍ.

- فضيلةُ صبرِ المرأةِ على جفاءِ الزوجِ أو سوءِ خلقه، مع الدعاءِ
له بالصَّلاحِ والهدايةِ والنُّصحِ له في وقتِ الصِّفاءِ، فبعضُ الأزواجِ
لا عقلَ له ولا هدايةَ؛ بشؤمِ الجهلِ بالكتابِ والسُّنةِ، وعدمِ عنايةِ
الوالدينِ بحسنِ التربيةِ، فعلى المرأةِ أنْ تصبرَ وتفعلَ كما فعلتْ أمُّ
سُلَيْمٍ بنتُ مِلْحَانَ لَمَّا أَرَادَ أَبُو طَلْحَةَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَهُوَ مُشْرِكٌ،
وقالتْ له: «أَمَا إِنِّي فِيكَ لَرَاغِبَةٌ، وَمَا مِثْلُكَ يَرُدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ،



وَأَنَا امْرَأَةٌ مَسْلَمَةٌ، فَإِنْ تَسَلِمَ فَذَلِكَ مَهْرِي، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ أَبُو طَلْحَةَ وَتَزَوَّجَهَا^(١).

فأسلم وحسن إسلامه ببركة توجيه هذه المرأة العاقلة الصالحة؛ حتى صار من كبار وخيار أصحاب النبي ﷺ.

فللمرأة الصالحة أعظم الدور والأثر في إصلاح الزوج والأولاد والأسرة.

- من الأدب الجم أن أحداً لو قصَّ عليك خبراً أو قصة وأنت تعرفها، لا تتظاهر بمعرفتها؛ بل أنصت واستمع كأنك تسمعها لأول مرة، ولا تخبره أنك تعلم ذلك، فإن هذا من الأدب وجبر الخاطر، فمن الممكن أن تكون هذه القصة معلومة عند النبي ﷺ؛ ولكنه استمع لعائشة وأنصت بكامل الانتباه والإصغاء والوعي، ممّا أسعدها وأنسها.

^(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٦٧٦).



- حسنُ الإنصافِ للمتكلِّمِ من أهل الفضلِ والعلمِ، وممَّن يُرجى الاستفادةُ منه كما فعلَ النبي ﷺ مع عائشةَ في سماعِ هذه القصةِ المفيدةِ.

- صلاحُ الآباءِ ينتفعُ به الأبناءُ؛ فعائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ، وأبو بكرٍ من أعلمِ الناسِ بالسَّيرِ والتواريخِ والأنسابِ والأشعارِ بجانبِ الكتابِ والسُّنةِ، فأَتَتْ ابنته عائشةُ ؓ تشبههُ مع صغرِ سنِّها، ولهذا وغيره اختارَها اللهُ واصطفاهَا زوجةً لنبِيِّهِ خيرِ البشرِ ﷺ.

قالَ الزهريُّ عن عائشةَ ؓ: أَنَّهَا كَانَتْ تَحْفَظُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ شَعْرٍ، وَكَانَتْ تَحْفَظُ أَخْبَارَ الْعَرَبِ، وَأَيَّامَهُمْ، وَقَصَصَهُمْ.

- اختيارُ الوقتِ المناسبِ لحديثِ المرأةِ معَ زوجها ومسامرتهاِ إياهُ، وقتَ الهدوءِ والاسترخاءِ والراحةِ، وبخاصةٍ معَ الأزواجِ ذوي المسؤولياتِ الكبيرةِ، فعائشةُ لم تُقصَّ هذه القصةَ للنبي ﷺ إلا في وقتٍ وجَدَتْ منه الاستعدادَ للملاطفةِ والمسامرةِ.



- وردت أسماء النساء الإحدى عشرة في بعض الروايات، ولا يصح سندُها، ولن يفيدنا في ذكر فوائدِ القصّة، ولذا أعرضنا عنه، وقد اعتنى بعض العلماء بذلك كابن حزم، فجزاهم الله خيراً.

- تحذير النساء من مجالس النسوة؛ فأكثر مجالس النسوة يكون فيها الغيبة، والنميمة، واللعن، وكفران العشير، والبُهتان، ففي هذه القصّة كم من النساء ذممن أزواجهن، وأخرجن أسرار البيوت، وهذا نتاج الجهل وقلة الدين والعقل، فعلى المرأة أن تحذر من حضور مثل هذه المجالس، أما مجالس العلم والخير والنصح فهي خير مجالس الدنيا.

- ذمُّ البخل والبخلاء: فقد ورد في نصوص الكتاب والسنة ما يدلُّ على ذلك، ومن ذلك على سبيل المثال قول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ}، وقال النبي ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنْ الْبُخْلِ»^(١)، فهو خلق مذمومٌ بالفطرة والعرف والشرع، ولهذا

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٣).



عَابَتِ الْمَرْأَةُ الْأُولَى زَوْجَهَا؛ لِأَنَّهُ سَيِّئُ الْخُلُقِ بَخِيلٌ، وَهَذَا شَرٌّ مَا فِي الرَّجُلِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ بَخِيلًا.

- ذُمَّ عِلْمُ الْمُنْطِقِ وَالْفَلَسَفَةِ، كَمَا ذَمَّتِ الْمَرْأَةُ الْأُولَى زَوْجَهَا: سَأَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنِ الْفَلَسَفَةِ وَعِلْمِ الْمُنْطِقِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عِلْمُ الْمُنْطِقِ وَالْفَلَسَفَةِ لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرٍ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَى»، وَهَذَا وَصْفٌ جِدٌّ لِكُلِّ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، فَلَا الْجَبَلُ يَسْهُلُ ارْتِقَاؤُهُ، وَلَا اللَّحْمُ يَسْتَحِقُّ حَمْلَهُ وَنَقْلَهُ.

- أَسْلُوبُ الْلَفِّ وَالنَّشْرِ مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْبَلَاغِيَةِ الْمَفِيدَةِ، فَالْمَرْأَةُ الْأُولَى ذَمَّتْ زَوْجَهَا بِاللَّفِّ وَالنَّشْرِ، أَوْجَزَتْ ثُمَّ نَشَرَتْ خَبْرَهُ؛ لِأَنَّهَا عَاهَدَتْ أَلَّا تَكْتُمَ شَيْئًا، فَوَصَفَتْهُ بِأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ: بِسُوءِ خُلُقٍ وَبُخْلِ، وَهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ، فَقَدْ يَكُونُ مُؤْمِنًا وَبَخِيلًا، وَقَدْ يَكُونُ سَيِّئَ الْخُلُقِ وَكَرِيمًا؛ لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ



لا يجمعُ بينَ الوصفينِ لحديث: «خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: سَوْءُ الْخُلُقِ، وَالْبُخْلُ»^(١).

تقولُ العربُ: الطويلُ المفرطُ في الطولِ فيه خبلٌ وهبلٌ.

قلتُ: هذا محمولٌ على الغالبِ وليس الكل.

قال ابنُ حجرٍ: «السببُ في ذلك لِبُعْدِ دِمَاغِهِ عَنْ قَلْبِهِ».

- مَنْ غَضِبَ مِمَّا لَا يُغْضِبُ فَهُوَ أَحْمَقُ، فالذي يحلفُ بالطلاقِ

أو يطلقُ لغضبٍ أو لسببٍ لا يستحقُّ ذلك فهو أَحْمَقُ، وهذا ما

وصَفَتْ به الثالثةُ زوجها، وهكذا كُلُّ مَنْ يثورُ ويغضبُ ممَّا ليس

بمغضِبٍ.

- مِنْ أَشَدِّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ ظُلْمُ الزَّوْجِ لَامْرَأَتِهِ، ولهذا قال النبيُّ

ﷺ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ»^(٢)، وقال ﷺ: «فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ

^(١) مسند أبي يعلى (١٣٢٨).

^(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).



خَيْرًا^(١)، وقد تَوَعَّدَ اللَّهُ مَنْ يَبْغِي عَلَى الْمَرْأَةِ بِالْإِعْتِدَاءِ أَوْ هُضْمِ حَقِّهَا، فقال سبحانه: {وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾} [النساء: ٣٤]، وهذا وعيدٌ من الله لِمَنْ بَغَى وظَلَمَ المرأةَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وقد وَصَفَتِ الثَّالِثَةُ زَوْجَهَا بِالظُّلْمِ وَالْحُمَقِ؛ وَلَكِنَّهَا صَبَرَتْ لِبَقَاءِ الْأُسْرَةِ وَصَلَاحِ الْأَبْنَاءِ.

- الوُسْطِيَّةُ وَالْإِعْتِدَالُ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١١٣﴾} [البقرة: ١٤٣]؛ أَي: عَدُولًا، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ: {إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾} [الفرقان: ٦٧]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٢)، وَهَذَا مَدْحُ الْمَرْأَةِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥١٨٦)، وَمُسْلِمٌ (١٤٦٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٦٤)، وَمُسْلِمٌ (٧٨٣).



الرابعة زوجها بالوسطية والاعتدال: «لا حر، ولا قر»، فالحرُّ شدة الحرارة، والقرُّ شدة البرودة، فهو معتدل كاعتدال الجو والهواء في الليل في بلاد تهامة، نسيم كالربيع.

- فضيلة الكرم والسخاء والجود؛ فمن أعظم شيم الإسلام وخصال النبي ﷺ الجود والكرم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ جَبْرِيلُ ﷺ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيلُ ﷺ، كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١).

والكرم صفة عجيبة تغطي عيوب الإنسان، ولهذا مدحت المرأة الخامسة زوجها لكرمه وسخائه وطيب نفسه.

^(١) أخرجه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).



- ذم الإسراف في الطعام والشراب والآثرة؛ قال تعالى: {وَكُلُواْ

وَشَرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وقال

تعالى في حق الأفاضل: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]

[الحشر: ٩].

وهذه أمور فطرية قبل أن تكون شرعية؛ حيث فطر الله الناس

على طبع سليم وعقل صحيح، ولهذا ذمت المرأة السادسة زوجها

بأنه شره شديد النهمة في الأكل والشرب والنوم، ولا يعرف إلا

نفسه، لا يهتمه زوجة ولا ولد ولا غيرهما، ومثل هذا مذموم قطعاً.

- قيل في معنى قول السابعة في ذم زوجها: غيايا؛ أي: شدة

الغَيِّ والفجور.

غيايا: غبي بليد جاهل ثقيل النفس والدم.

طباقاء: جهل مطبق، فجمع بين الغي والغباء والبلادة والجهل،

ولهذا قالت: كل داء له داء؛ أي: هو مَجْمَعٌ لجميع العيوب؛ وذلك

لجهله وغبائه وغَيِّه، فهو غليظ الطبع، كثير الضرب للزوجة، وإذا



ضرب لا بدّ من الشَّجِّ والفَلِّ، والشَّجُّ هو كسرُ العظامِ، والفَلُّ جَرْحُ الجلدِ واللحمِ، فإذا أن يجرحَ، وإما أن يكسِرَ، وإما أن يجمعَ بينهما.

- فضيلةُ حسنِ الخُلُقِ مع الزوجةِ خاصةً، ومع الناسِ عامةً، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ»^(٢)، وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٣).

فَحُسْنُ الْخُلُقِ محمودٌ بالفِطْرَةِ والعقلِ، ولهذا مدحتِ المرأةُ الثامنةُ زوجها بحُسْنِ خُلُقِهِ معها.

وصلِّ اللهم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم!

آمين آمين!

^(١) أخرجه أحمد (٢٥٥٣٧)، وأبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني.

^(٢) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٧٦٤٠).

^(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وصححه الألباني.



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٦	المبحث الأول: نص حديث أم زرع
٩	المبحث الثاني: المعنى الإجمالي للحديث وكلماته
٢١	المبحث الرابع: الدروس المستفادة من حديث أبي زرع وأم زرع
٢١	جمال اللغة العربية، وسعتها، واستيعابها للزمان كله
٢١	أن كل أمة ثقافتها مرهونة بلغتها
٢٣	على الرجال الصبر والتغافل عما يبلغهم من حديث النساء عنهم
٢٤	جواز الإخبار عن الأمم الخالية وضرب الأمثال بهم اعتباراً
٢٥	ولا تنسوا الفضل بينكم
٢٦	حسن عشرة الرجل لأهله بالتأنيس والمحادثة بالأمور المباحة
٢٧	حسن اختيار الزوج لزوجته
٢٩	وجوب شكران العشير
٣١	النهى عن الفخر بحطام الدنيا
٣٣	كنية الطلاق لا توقعه إلا مع مصاحبة النية
٣٥	يحرم على الزوجة أن تصف زوجها بما يكره



- ٣٦ جوازُ واستحبابُ اجتماعِ الضرائرِ في بيتٍ إحداهنَّ يومَ نوبتها
للزيارةِ والمؤانسةِ
- ٣٧ فضلُ عائشةَ وشدةُ محبةِ النبي ﷺ لها
- ٣٧ فضيلةُ صبرِ المرأةِ على جفاءِ الزوجِ أو سوءِ خلقه
- ٣٩ حسنُ الإنصاتِ للمتكلمِ من أهلِ الفضلِ والعلمِ
- ٣٩ صلاحُ الآباءِ ينتفعُ به الأبناءُ
- ٤٠ تحذيرُ النساءِ من مجالسِ النسوةِ
- ٤٠ ذمُّ البخلِ والبخلاءِ
- ٤١ ذمُّ علمِ المنطقِ والفلسفةِ
- ٤٢ من أشدِّ أنواعِ الظلمِ ظلمُ الزوجِ لامرأتهِ
- ٤٤ فضيلةُ الكرمِ والسخاءِ والجودِ
- ٤٥ ذمُّ الإسرافِ في الطعامِ والشرابِ والآثرةِ

